الباحث السعودي في الشؤون الروسية د. ماجد التركي يتحدث لـ«الجزيرة» عن السمات الخاصة لزيارة ولي العهد لروسيا:

المملكة وروسيا تشكلان ثنائياً مهماً في معالجة الأزمات الراهنة

تنسيق الرياض وموسكو في الشؤون البترولية مهم في استقرار أسواق النفط العالمية

تأتي زيارة سمو ولي العهد -حفظه الله- لروسيا لتسجل مرحلة جديدة في السياسة الخارجية السعودية، وتستقطب اهتمام وانتباه المحللين والخبراء والإعلاميين لما تمثله من أهمية إستراتيجية في هذه المرحلة التي تشهد تحولات ومشكلات دولية وإقليمية، فالملف السياسي، والملف الاقتصادي، والملف الأمني، وغيرها كثير سوف تحفل به هذه الزيارة، فجاءت تطلعات وتوقعات الخبراء والمختصين بنتائج كبيرة على المستويات السياسية والاقتصادية دولياً وإقليمياً، وكذلك مما يتصل بالمصالح السعودية والروسية لتعكس جانباً جديداً من الشراكة الثنائية.

وإدراكاً من (الجزيرة) لأهمية هذه الزيارة قامت بجملة من الأعمال الإعلامية المتخصصة بهدف استقصاء جوانب الزيارة والظروف المحيطة بها وعوامل نجاحها وتحقيق أهدافها.

ومن هنا جاء هذا الحوار مع د.ماجد التركي، لنقف مع الجزيرة حول نقاط لم تطرح بشأن الزيارة، وتحتاج لمزيد تناول، ولا سيما أن لدى ضيفنا الكثير من الأبحاث والدراسات والإصدارات في هذا المجال، وخلاصة ما طرحه أن العوامل الإيجابية والمشتركة بين البلدين أكثر من العوامل المؤثرة سلباً في علاقات البلدين، وأن البلدين بانتظار علاقات مستقبلية واعدة بناء على الرغبة الجادة بين البلدين لتحقيق ذلك.

ولي العهد

الرئيس بوتين

(الجزيرة): دكتور ماجد، اليوم الثلاثاء ٢ سبتمبر، تبدأ الزيارة الرسمية الأولى لسمو ولي العهد لروسيا، فما الذي تعنيه هذه الزيارة؟ وماذا يمكن أن يقال بشأنها؟

- نعم تبدأ اليوم زيارة سمو ولي العهد، ومعها تبدأ مرحلة جديدة ليس فقط في العلاقات السعودية الروسية، بل في مجال السياسة الخارجية السعودية، وهذه الزيارة انطلاقة استراتيجية جديدة للمملكة على مسار علاقاتها الدولية.

وهذه الزيارة تعني كل شيء (سياسياً واقتصادياً وأمنياً)، ومن خلال متابعتي للإعلام بوجه عام فقد قيل الكثير عن الزيارة، قيل إنها تاريخية، وتحول استراتيجي، ونقلة نوعية في العلاقات السعودية، إلى غير ذلك وهذه حقيقة يستساغ تكرارها كثيراً مدة الزيارة، فالزيارة تسعى لفتح المجال واسعاً بين البلدين، وتهدف لوضع أرضية مشتركة للتعاون الثنائي، بمعنى التحول من مرحلة المفاهمة إلى التشاور في المجال السياسي، ومن التعاون إلى المشاركة اقتصادياً.

هل ستكون الزيارة النافذة التي تدخل منها موسكو لمنظمة الأوبك

(الجزيرة): يقابل التفاؤل بنتائج الزيارة تساؤل عن توقيت الزيارة في ظل الحالة الدولية الساخنة، وهل الأوضاع المحيطة تساعد على نجاح الزيارة وتحقيق أهدافها؟

- التفاؤل ليس مجرد (مشروع) بل واجب في ظل المعطيات المشاهدة، فممهدات نجاح الزيارة كثيرة يمكن التطرق إليها ولكن يحسن التأكيد على أن الخطوات الجريئة لا تأتي إلا في المواقف الصعبة، صحيح أن الحالة الإقليمية والدولية ساخنة وساخنة جداً، وهذا برأيي مما يؤكد على أهمية الزيارة كخطوة في المشاركة السياسية بين عاملين فاعلين في السلام والأمن الدليين، فالمملكة بوزنها في الساحة الإسلامية والعربية، وروسيا بثقلها الدولي تشكلان ثنائياً هاما في معالجة الأزمات الراهنة وخاصة عراقياً وفلسطينياً.

أعود لأؤكد إن ممهدات نجاح الزيارة كثيرة وأبرزها عاملان أساسيان:

الأول: وجود رغبة سعودية وروسية مشتركة لتفعيل العلاقات الثنائية، وهذه الرغبة مبنية على الإدراك الواعي بأهمية البلدين تجاه بعضهما، وأن لديها مصالح مشتركة سياسية واقتصادية.

الآخر: عدم استعجال البلدين في خطواتهما تجاه البعض، فاخذ القرار الوقت الكافي جداً للوعي به وانضاجه، وأنا أختلف مع الكثير ممن يقول إن هذه الخطوة جاءت متأخرة، فهي لم تتأخر حيث سبقتها خطوات على الصعيد الدبلوماسي لوزارتي خارجيتي البلدين وكان بيان البلدين على هذا المستوى زيارات متبادلة كثيرة، إضافة إلى العمل المتواصل للجنة السعودية الروسية المشتركة.

ويمكن ان يكون التأخر في حسم المرحلة أما الخطوات الأولية فهي قائمة ومستمرة منذ سنوات، وكنت ألحظ ذلك بحكم علاقتي بالمنطقة متابعتي لشؤونها، وقد كتبت كثيراً في هذا الاتجاه سواء للمسؤولين، أو على المستوى الإعلامي، وكنت أرصد تفاعل الساحة الروسية، وجاء ذلك في دراسة خاصة عن المملكة في الرأي العام والإعلام الروسي.

(الجزيرة): هذه المعطيات والممهدات التي أشرت إليها تعطي مؤشرات أولية لنجاح واسع لبرنامج الزيارة، فما هي أبرز النتائج المتوقعة؟

- النتائج المتوقعة ليست كثيرة فقط، بل ومتنوعة بحسب المجالات المشتركة بين البلدين من جانب، ومن جانب آخر تتعلق بمعالجة المشكلات العالقة التي كانت من أسباب عدم تطور علاقات البلدين.

فعلى الصعيد السياسي يمكن أن تسفر الزيارة عن انحسار في مساحة اختلاف الرؤى الخاصة تجاه بعض القضايا الدولية والمشكلات الأقليمية حيث سيكون محور التفاهم المستمر بين البلدين قائماً يسبق اي رأي تجاه تلك القضايا، بمعنى انه سيكون في الساحة الدولية خطاب سياسي جديد ومؤثر.

- أما على الصعيد الاقتصادي والتجاري فهناك جانبان:

الأول: العمل على زيادة حجم التبادل التجاري بين البلدين، والعمل على إزالة القيود أو المعوقات السابقة، من خلال إبرام اتفاقيات تجارية تحقق ذلك.

الثاني: الجانب النفطي واستثمارات صناعة الغاز بالعمل على وجود مراعاة لمصالح الطرفين في القرارات النفطية، ولعل أبرز ملحظ هنا العمل على تقريب روسيا (كثاني أكبر منتج عالمياً بعد المملكة) من منظمة أوبك، بحيث يكون بين البلدين تنسيق نفطي يسهم في استقرار سوق النفط العالمي، وقد نشهد يوماً ما انضمام روسيا للمنظمة.

- وسوف تمتد نتائج الزيارة لتمس بعض الشؤون الداخلية وخاصة في روسيا، حيث ستسهم في تصحيح المفاهيم الإعلامية المغلوطة تجاه المملكة حيث سيكون هناك توصل يكسر الجمود، ويزيد من معرفة وتفاهم شعب البلدين تجاه بعضهما، فروسيا بلد حضارة وثقافة وسياحة سوف تستقطب مختلف شرائح المجتمع السعودي.

د. ماجد التركي

(الجزيرة): تناول الكتّاب والمحللون الجوانب السياسية والاقتصادية ذات الصلة بالزيارة، فهل توجد عوامل أو عناصر مشتركة بين البلدين غير ذلك؟

- طبعاً يوجد الكثير من العوامل المشتركة بين البلدين، وكثرة هذه العوامل وجديتها هي التي دفعت بمسيرة العلاقات إلى هذه المرحلة الهامة، والجانبان السياسي والاقتصادي مؤثران وأساسيان، ولكن يوجد جانب آخر رئيسي وهو الجانب الأمني لكل الطرفين، فالمملكة وروسيا تعانيان من الإرهاب الدولي، وهما دولتان مستهدفتان في الوقت الراهن، ويوجد بينهما تشابه في الظروف الأمنية باعتبار أن مشكلة الإرهاب لديهما داخلية، فالبلدان معنيان بمحاربة الإرهاب، ولدى كل منهما برنامجه الخاص في هذا المجال، واعتقد أن التعاون بين البلدين في هذا الاتجاه سيكون من أولويات الزيارة وقد نتج عنه إبرام اتفاقات أمنية، أو تكون هذه الزيارة ممهدة لمثل هذا الإجراء، وقد استطاعت المملكة وروسيا من خلال لجان رسمية رفيعة المستوى مناقشة الكثير من المشكلات الأمنية وخاصة فيما يتصل بالاتهامات الإعلامية من الجانب الروسي لبعض المؤسسات السعودية وأظن أنه قد تم تجاوز ذلك لمراحل متقدمة من التفاهم والتعاون.

(الجزيرة): أين مكان العامل الإسلامي في العلاقات السعودية الروسية، وخاصة أنه يوجد في روسيا حوالي عشرين مليون مسلم؟

- بكل تأكيد فالعامل الإسلامي مؤثر في علاقات البلدين، ولكن لم يكن على الدوام إيجابياً. بل أثر سلباً في بعض المراحل، وهذا جانب هام الوهي به والإحاطة بجوانبه، ولكن يحسن أن يسبق هذا الإشارة إلى عمق الإسلام في روسيا وتأثيره في الساحة الروسية ذاتها، فالمسلمون عشرون مليون مسلم من ابناء القوميات الروسية، وهذا الرقم كان مختلفاً عليه طوال العقد الماضي حتى أعلن عنه الرئيس فلاديمير بوتين قبل أسابيع في زيارته لماليزيا، وإعلانه عن سعي روسيا للانضمام كعضو في منظمة المؤتمر الإسلامي، وليس بصفتها مراقب حسب وضعها الحالي، كما أن الإسلام هو الديانة الثانية بعد المسيحية في روسيا، ويوجد بها أكثر من (٥٠٠٠) مسجد، وتعد موسكو أكبر عاصمة أوروبية باعتبار عدد المسلمين الذي يقارب المليون، والمسلمون من القوميات الروسية أعضاء في مختلف أجهزة الحكومة الروسية، ولديهم جمهوريات إسلامية ذات حكم ذاتي ضمن فدرالية روسيا ومن أبرزها (تتارستان - وبشكيريا - وداغستان)، والمسلمون لا يتركزون في مناطق معينة خاصة بهم، بل لهم انتشار في كافة جغرافية روسيا، هذه كلها عناصر هامة تبرز أهمية العامل الإسلامي في روسيا ذاتها، وبالتالي فهو عامل مؤثر في علاقاتها الخارجية وخاصة مع دولة مثل المملكة العربية السعودية، التي بها الحرمان الشريفان ومهوى أفئدة المسلمين، وبها أكبر مجمع على الاطلاق لطباعة المصحف الشريف، فهي بالنسبة للمسلمين راعية شؤونهم ومهتمة بمصالحهم وحاجاتهم، وقد أعلن رئيس مجلس المفتين الشخصية الدينية الأولى في روسيا أن مسلمي روسيا وجمهورياتها الإسلامية يتطلعون إلى إقامة علاقات متينة مع المملكة، ويعولون على ذلك الكثير.

فالعامل الإسلامي عنصر مهم يحسن توظيفه لتطوير علاقات البلدين، والتواصل الجاد مع مسلمي المنطقة مع الوعي بظرفهم الداخلي، وتاريخ الإسلام في المنطقة واتجاهاته، وأن تتركز الجهود على أن يكون عناصر فاعلة في مجتمعهم، وجزءاً رئيسياً في الكيان الروسي.

(الجزيرة): دعنا ننتقل بالحديث إلى جانب آخر في علاقات البلدين، وما هي المؤثرات السلبية التي قد تشوش على علاقات البلدين حالياً أو مستقبلاً؟

- هذه حقيقة يجب التعامل معها، فليست الأمور إيجابية بشكل دائم، ولو لم توجد السلبيات لما وجدت الجهود الجادة لتلافيها، ولأصبحت علاقات الدول طبيعية.

ولكن فيما يتصل بالعلاقات السعودية الروسية ففي تقديري أن العوامل الإيجابية أكثر من السلبية، أو بعبارة أدق أكثر فاعلية وتأثيراً، ومن جانب آخر أن البلدين تجاوزا في المراحل التمهيدية لهذه العلاقات الكثير من المعوقات لمسيرة علاقات البلدين سواء سياسياً أو اقتصادياً أو أمنياً، وطوال عقد زمني كامل في علاقات البلدين تم حل الكثير من المشكلات، وأصبح التفاهم بشأنها هو القائم الآن، وتم تجاوز تلك المرحلة وهذا لا يعني أيضاً أن جميع المشاكل تم حلها، أو أنه لن تظهر في الساحة معوقات أو مشكلات جديدة، ولكن تم وضع الأرضية المناسبة لعلاقات متفاهمة ومتفاعلة بين البلدين، وما ينتظر في هذه الزيارة من توقيع اتفاقيات في مجالات مختلفة سيمهد مستقبلاً واعداً ونشطاً في علاقات البلدين، وسياتي دور المؤسسات التنفيذية في البلدين لتحويل ذلك إلى واقع، وسيكون للإعلام بكافة اشكاله دور رئيسي، إضافة إلى الدور المرتقب لرجال الأعمال، فالطموح الآن ليس في مجرد بدء هذه المرحلة من العلاقات فحسب، بل العمل على استمرارها وتطويرها وتوسيع مجالاتها، وزيادة مساحة التفاهم والتعاون والمشاركة.

سيكون لمركز الدراسات والإعلام عمل جاد لرصد نتائج الزيارة

(الجزيرة): تحدثت دكتور ماجد عن دور إعلامي منتظر في مسيرة العلاقات، فما هو في تقديرك؟

- لعلي أدرك أنك لا تسال عن الدور الوظيفي العام للإعلام، بل عن خصوصية الدور في هذه المرحلة، لذا أرى أن يكون الدور المستقبلي للإعلام ينطلق من الوعي بمصلحة البلدين المشتركة، والعمل على خلق الأجواء الإعلامية الصحية لتطوير العلاقات، بمعنى التركيز على إبراز الجوانب الإيجابية والتأكيد عليها، والسعي إلى منافسة المشكلات بموضوعية وتان.

وبالنسبة للإعلام السعودي فالمهم في تقديري أن يستمد مضامين رسالته الإعلامية من مصادر ذاتية خاصة به، ووطنية قدر الإمكان، وان يتجاوز مرحلة الاعتماد في استقاء الأخبار أو التقارير من المصادر الدولية التي تنطلق من مصالحها الاستراتيجية ولو على حساب تغييب مصالح الآخرين.

فعندما تنطلق الرسالة الإعلامية من مصلحة وطنية فإنها بلاشك سوف تسعى لخلق اجواء التفاهم أكثر من غيرها.

(الجزيرة): د. ماجد: كيف تقرأ مستقبل العلاقات السعودية الروسية؟

- بكل بساطة هو مستقبل واعد، وهذا ليس جنوحاً في التفاؤل بل الشواهد الواقعية تؤكد ذلك، سواء من الجانب السعودي أو الروسي، وأعتقد أن الأوضاع الدولية الراهنة رغم سخونتها سوف تسهم إيجابياً في هذا الاتجاه من منطلق إدراك الدولتين لأهمية تعاونهما.

وأعتقد أن ردة الفعل العملية لزيارة ولي العهد سوف تحدد بشكل كبير مستقبل هذه العلاقات، فعملياً ماذا سيعمل الطرفان لتحقيق ذلك، وهذا يحتاج إلى انتظار ومراقبة وترقب، وعلى المستوى الشخصي فأنا من خلال (مركز الإعلام والدراسات العربية والروسية) في موسكو أقوم بمتابعة التفاعل الإعلامي والثقافي في الساحة الروسية تجاه المملكة، وسيكون للمركز عمل جاد بعد الزيارة لرصد النتائج ومحاولة الإسهام العلمي والإعلامي في هذا المجال، فنحن في المملكة في حاجة إلى الكثير من الدراسات عن روسيا ذاتها، وعن الصورة الذهنية للمملكة وتطوراتها في الرأي العام الروسي، وأذكر هنا كلمة لصاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل في زيارة سابقة لموسكو (أكتوبر ٢٠٠٢م) حيث قال: اكتشفت في زيارتي أن الروس يعلمون الكثير جداً عنا في المملكة، في حين أننا لا نعلم إلا القليل عن الشان الروسي.

وهذا برأيي ما يفسر سر الاهتمام الروسي المتزايد بنا في المملكة، ورغبتهم الجادة في بناء العلاقات وتطورها وقد ذكر لي السفير الروسي السابق في الرياض (د.ايجور ميلحوف) جانباً من هذا الاهتمام، وإشارته إلى وعد من سمو ولي العهد الأمير عبدالله، بان تكون زيارته الأولى للمنطقة إلى روسيا، تقديراً من سموه باهميتها، وقد وفى سموه بوعده.

وبهذه المناسبة ايضاً فانا اقرأ في مستقبل العلاقات بين البلدين، شخصية الأمير عبدالله الجادة والحازمة في تحقيق ما يصبو إليه من قناعات ذات مصلحة وطنية وشواهد ذلك كثيرة في الميدان السياسي السعودي الخارجي وأصبح ذلك سمة تميز شخصية سموه.

(الجزيرة): كلمة ختامية:

- أشكر جريدة الجزيرة على اهتمامها العلمي الجاد بهذه الزيارة وإعطائها العناية التي تليق بمقامها، وظهر ذلك واضحاً في الملحق الصحفي الذي صدر مع عدد يوم أمس الاثنين، والذي أبرز الجوانب الحضارية السعودية، وقدم الحياة الروسية بكل أطيافها للمثقف السعودي، ولا شك أن ذلك يسهم في زيادة الوعي بأهمية الزيارة.

وفي الختام أجدد الاشارة إلى أهمية القيام بدراسات علمية جادة عن الساحة الروسية (سياسياً - وثقافياً - ودينياً - واقتصادياً) لزيادة معرفتنا، وسيكون (لمركز الإعلام والدراسات العربية والروسية) برنامج واسع بعد الزيارة للعمل بلغات متخصصة من واقع الساحة الروسية، إسهاماً في تفعيل هذه العلاقات.

«الجزيرة» تستطلع آراء الأوساط الروسية:

رئيس مجلس المفتين في روسيا، المفتي/ راوي عين الدين:

نحن نصبو إلى إقامة تعاون أوثق مع هذه الأرض المباركة

الشيخ راوي عين الدين
رئيس مجلس المفتين في روسيا

إن الأرض التي شهدت نزول الدعوة وفيها الكعبة الشريفة والمسجد الحرام وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم عزيزة إلى قلب كل مسلم في مشارق الارض ومغاربها. والمسلمون في روسيا يشعرون بالسعادة البالغة لكونهم بعد انقشاع الغمة وذهاب فترة الالحاد الذي فرضه الحكم الشيوعي على البلاد يستطيعون اليوم السفر إلى المملكة العربية السعودية لزيارة الاماكن المقدسة وتوسعة الحرم الشريف والمسجد النبوي واعمال العمران الكبيرة في مكة المكرمة والمدينة المنورة يعود إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود الذي أمر بتوفير خير الظروف إلى الحجاج في روسيا والعالم أجمع. ونحن نبدي الشكر والامتنان الى جلالته بصورة خاصة حين مد يد المساعدة إلى المسلمين في روسيا في الاوقات العصيبة بالنسبة لهم.

ينبغي اليوم اجتياز طريق طويل في فترة قصيرة نحو التعاون الوثيق بين البلدين

ونحن المسلمين في روسيا نتطلع إلى إقامة تعاون أوثق بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية. ولابد من الاعتراف بانها لا تتطور بالشكل المطلوب بالرغم من توفر امكانيات كبيرة لدى روسيا والمملكة، بيد انها لا تستغل مع الاسف من قبل الجانبين. وعملياً لا يتطور التعاون الاقتصادي، كما أن العلاقات الثقافية معدومة تماما. ونحن نتمنى أن تكون الصلات بيننا اكثر نشاطا.

واظن أن معوقات ذلك تكمن في وجود الرواسب القديمة من الافكار التي روجها الغرب والبلدان الواقعة تحت تاثير امريكا عن روسيا وعن الاسلام على حد سواء. ومعروف أن الغرب لم يكن يرغب في الحضور الروسي في الشرق الاوسط انطلاقاً من مصالحه الخاصة دون اعتبار لمصالح ابناء المنطقة.

حقا ان النفوذ الامريكي كبير في هذه المنطقة، وتريد القيادة الامريكية دعمه بالحضور العسكري ايضا، ونحن نعلم ان واشنطن تريد ان تكون علاقات الدول الاسلامية مع روسيا علاقات دبلوماسية عادية دون ان يشمل ذلك اقامة علاقات اقتصادية وتجارية قوية. وهذا بالذات ما يجلب الضرر الى مسلمي روسيا فالجمهوريات الاسلامية في روسيا تود صادقة في اقامة علاقات قوية مع المملكة على اساس المصلحة المتبادلة.

ماريا بشينيتنتشنيكوفا المعلقة السياسية لوكالة ايتار - تاس

تحاول روسيا والمملكة العربية السعودية التعويض عن الزمن الضائع بعد فترة اكثر من نصف قرن من انقطاع العلاقات بينهما وينبغي اليوم اجتياز طريق طويل في فترة قصيرة وبوتائر متسارعة والمضي في الظروف التاريخية الجديدة نحو التعاون الوثيق واكثر في مجال الاستثمارات والتجارة والاقتصاد.

المفتي راوي عين الدين

ومعروف ان الاتحاد السوفيتي كان اول بلاد غير عربية اعترفت بالمملكة العربية السعودية في شباط/ فبراير عام ١٩٢٦م.

لكن البعثة الدبلوماسية الروسية اغلقت ابوابها في عام ١٩٣٨ بذريعة تقليص البعثات في الخارج. وجرت اول محاولة لاستعادة العلاقات في عام ١٩٨٢م حين اقيمت «قناة اتصال» عبر لندن بمبادرة من الجانب السعودي من اجل تبادل الرسائل والمعلومات حول القضايا الدولية والاقليمية الحيوية، وفي عام ١٩٩٠ فقط توصلت الرياض الى اتفاق بشان تطبيع العلاقات الدبلوماسية بصورة كاملة، وقد تطورت بنشاط على الاخص في الاعوام الثلاثة الماضية.

ويعتقد المراقبون ان تطوير العلاقات مع روسيا يرتبط قبل كل شيء بتنويع مسارات نهج السياسة الخارجية للمملكة التي كانت متجهة بلا مبرر على مدى فترة طويلة نحو الولايات المتحدة بصورة اساسية، والآن يروق للمملكة العربية السعودية ان تقيم علاقات متوازنة مع دول اكثر واعطي لروسيا فيها مكانة خاصة، وهذا بلا ريب نافع لكلا الجانبين.

وفي عام ٢٠٠٢م بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين ٦٦,٧ مليون دولار، وقد تسنى تسوية قضية تسديد ديون روسيا الى المملكة العربية السعودية «٢٥٠ مليون دولار» في اطار نادي لندن وتتطور العلاقات في مجال النفط والغاز الذي يعتبر من المجالات الواعدة اكثر من غيرها في التعاون بين البلدين. وهذا يمس قبل كل شيء الجهود في مجال استقرار سوق النفط العالمية. ومجال التعاون الآخر هو الفضاء.

وفي اطار الحوار السياسي تم التوصل الى اتفاق في الرأي بشان الوضع في شمال القفقاس الذي ترك آثارا سلبية على العلاقات الثنائية خلال عدة سنوات. ويشير الخبراء في روسيا الى ان اجراء الاستفتاء في جمهورية الشيشان في اذار/ مارس عام ٢٠٠٣م قد قوبل بصورة ايجابية في المملكة العربية السعودية. ويمكن وصف مكافحة الارهاب الدولي احد الجوانب الهامة للتعاون الروسي - السعودي.

وثمة اعتقاد بان زيارة سمو الامير عبدالله بن عبدالعزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية الى روسيا المقررة في ٢-٤ ايلول/ سبتمبر ستكون حدثا تاريخيا في العلاقات بين روسيا والمملكة العربية السعودية - الدولة القيادية في العالم الاسلامي.

د. إلكسندر ياكوفليف

دكتور/ إلكسندر ياكوفليف
باحث بمعهد الاستشراق موسكو

يعتبر شهر سبتمبر ٢٠٠٣م بداية مرحلة جديدة في تطور العلاقات الروسية - السعودية، إذ بدأ جلياً رغبة الطرفين في تفعيل العلاقات الثنائية، فزيارة سمو ولي العهد السعودي لموسكو تعد نقلة موضوعية واستراتيجية في علاقات البلدين، وبداية عملية للمشاركة الثنائية في القضايا الدولية والاقليمية الساخنة (عراقيا وفلسطينياً) إلى جانب المحور الاقتصادي المتمثل في التعاون في مجال صناعة النفط والغاز، والعمل المشترك لاستقرار السوق النفطية العالمية بما يحقق قبل كل شيء المصلحة الوطنية للبلدين.

وعلاقات البلدين وإن كانت جديدة في شكلها السياسي والاقتصادي، إلا أنها ذات تاريخ عميق، فالجزيرة العربية كانت دوماً تجذب اهتمام روسيا القيصرية في القرن التاسع عشر لحماية مصالح رعاياها من المسلمين المتوجهين للحج، أما العلاقات الثنائية فقد بدأت بشكل حقيقي أواسط العشرينيات من القرن العشرين، ففي يناير ١٩٢٦م وصل إلى المملكة توریاكوف السفير السوفيتي المطلق الصلاحيات وقدم أوراق اعتماده إلى الملك عبدالعزيز مع وثيقة اعتراف موسكو بدولته. وكان ذلك بمثابة دعم كبير من قبل دولة كبرى. وقد ثمن الملك عبدالعزيز بن سعود خطوة موسكو هذه. وبذلك ارسيت بداية العلاقات بين البلدين.

وعقدت في النصف الثاني من العشرينيات في مكة المكرمة مؤتمرات اسلامية عالمية شاركت فيها وفود تمثل عشرات ملايين المسلمين في روسيا وأسهمت في معالجة المشاكل الإسلامية العامة. وبالرغم من دعوات موسكو الاتحادية فقد كان يتوجه مئات المسلمين من تتارستان وبشكيروستان وجمهوريات اسيا الوسطى سنويا لأداء فريضة الحج إلى مكة المكرمة.

كما تطورت العلاقات التجارية بين البلدين. وفي تلك الفترة جرت مقاطعة السلع السوفيتية في الأسواق الغربية، مما جعل التجارة مع بلدان الشرق تكتسب أهمية خاصة بالنسبة إلى موسكو، ونقلت أولى ارساليات السلع الروسية الى الجزيرة العربية في السفن التابعة للشركة الروسية - التركية «روسوتورك» في عام ١٩٢٦ وجرى تسويق هذه السلع بنجاح، لكن هذه التجارة لقيت مقاومة شديدة من جانب التجار الانجليز والهنود الذين اعتادوا على كونهم يسيطرون تماما على أسواق شبه الجزيرة العربية.

وبذل توریاكوف وغيره من الدبلوماسيين السوفيت جهوداً كبيرة من أجل ازالة العقبات، وكانت احدى الخطوات الحاسمة في هذا السبيل الاتفاقية التي وقعها الأمير فيصل بن سعود نجل الملك مع رئيس الحكومة السوفيتية آنذاك فياتشيسلاف مولوتوف في عام ١٩٣٢م. وحظيت بالاقبال في الاسواق السعودية السلع السوفيتية مثل السكر والكبريت والاخشاب والسماورات وكذلك الكيروسين، ولم يكن احد يعرف يومذاك ان المملكة تطفو فوق بحر في النفط، وأعقب ذلك اعداد معاهدة الصداقة بين البلدين لكن خصوم التقارب السوفيتي - السعودي فعلوا كل ما في وسعهم للحؤول دون توقيع هذه المعاهدة.

يتعين علينا اليوم العمل بنشاط لبناء أساس جديد من أجل التعاون الاقتصادي والسياسي بين روسيا والمملكة

في أواخر الثلاثينيات أدى الوضع الداخلي في الاتحاد السوفيتي الى تدهور العلاقات مع المملكة العربية السعودية بصورة مفاجئة، وطالت حركة القمع السفير حليموف وعدة دبلوماسيين آخرين وأغلقت السفارة السوفيتية وتقلص عدد الحجاج القادمين الى الأراضي المقدسة الى أدنى عدد، وفي الواقع قطعت العلاقات بين البلدين.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية توطدت مواقع الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، لكن سيادة العامل الايديولوجي في السياسة الخارجية السوفيتية ورهان موسكو على الأنظمة ذات «التوجه الاشتراكي»، وكذلك الطابع الالحادي للدولة السوفيتية، ولد الريبة الشديدة في الرياض التي اتخذت واشنطن سنداً لها.

ونشأ وضع جديد بالنسبة الى تطور العلاقات الروسية - السعودية في أواسط التسعينيات وصارت نزعة الهيمنة على العالم المتأتية عن الروح الانانية لدى زعيمة العالم الغربي تثير مخاوف كثير من الدول، وعاد الطرفان الروسي والسعودي الى تفعيل الحوار بينهما بعد أن أدركت موسكو مجدداً أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لها، بينما فهمت الرياض الدور الجيوبوليتيكي الفعلي لروسيا التي دب فيها الضعف مؤقتاً.

واليوم يتعين علينا العمل بنشاط على بناء أساس جديد من أجل التعاون الاقتصادي والسياسي القائم على المنفعة المتبادلة من أجل أن تصبح العلاقات الروسية - السعودية فعالة وهامة بالنسبة الى كل بلد كما كانت الحال في عام ١٩٢٦م.